

## الحرية تعني المسئولية



رسالة من: أ.د. محمد بديع  
المرشد العام للإخوان المسلمين

الحمد لله، والصلوة والسلام على رسول الله، وبعد..

فإن الحرية من أعظم نعم الله تعالى على الإنسان، بها تتحقق كرامته، وتبدر رسالته في هذا الكون.. (إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيقَةً) (البقرة: من الآية 30)؛ فالله تعالى خلق الإنسان بيده - سبحانه - وأمر ملائكته أن تسجد له، وحدد له دوره في الكون.. (هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرْكُمْ فِيهَا) (هود: من الآية 61)، وسخر له كل مقدرات الكون.. (وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ) (الجاثية: من الآية 13)، ومنحه حرية السفر والتنقل والتفكير.. (قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا) (النمل: من الآية 69)، وحرية العمل والهجرة والكسب.. (هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلِيلًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُّوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ التَّشْوُرُ) (الملك: 15)، بل منحه حرية التدين والاعتقاد.. (لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ) (البقرة: من الآية 256)، (فَمَنْ شَاءَ فَلِيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلِيَكْفُرْ) (الكهف: من الآية 29)، وحرره من عبودية شهواته أو وساوس الشيطان، وحدّره من ذلك (إِنَّ هَذَا عَدُوًّا لَكُمْ وَلَرَوْجُوكَ) (طه: من الآية 117).

إن كلمة التوحيد التي يدخل بها الإنسان في الإسلام هي في حقيقتها رسالة التحرير لكل البشر من كل عبودية، إلا العبودية للواحد القهار (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ تَبَدَّأُ بالنفي:

\* نفي الألوهية عن كل مدعٍ لها يعني التسلط على الناس بالقهرا والجبروت، ولا يصح التوحيد إلا بتحطيم هذه الألوهية المدعاة، كالذي قال: (قَالَ أَنَا

رِبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴿٢٤﴾ (النازعات).

\* واحتقار الرأي.. (مَا أَرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشادِ ﴿٢٩﴾) (غافر).

\* والاحتکام للعادات والتقاليد، إن كانت تقید حركة الإنسان أو تنتقص من حقوقه أو تهين كرامته.. (إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُهَتَّدُونَ ﴿٢٢﴾) (الزخرف).

وتنتهي بالإثبات:

\* إثبات الألوهية لله الواحد القهار.. الخالق الرازق.. العليم الخبير.. الرحيم الوودود.. الذي له الحق في التشريع.. (أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾) (الملك).

وأنبياء الله تعالى هم أول المصلحين للنظم المعوجة والواقفين في وجه الانحراف العقدي والقوانين الجائرة والاستبداد السياسي والجمود الفكري والتحجر العقلي، ولهذا قاومهم كبراء القوم من الملا في كل زمان ومكان، كالنمرود؛ الذي قال لإبراهيم عليه السلام: (أَنَا أَحْيِي وَأَمِيتُ) (البقرة: من الآية 258)، و”فرعون” الذي قال (أَلَيْسَ لِي مُلْكُ بِرْبِّ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي) (الزخرف: من الآية 51).

وكذلك قاومهم الأعوان الظلمة، كهامان وجندوه والملا من قومه: (أَنْذَرْ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُقْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذْرَكَ وَآلَهَتُكَ) (الأعراف: من الآية 172).

كذلك قاومهم الأثرياء المستكرون كـ”قارون” الذي تباھي بما له وكنوزه وقال: (إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي) (القصص: من الآية 78).

وقاومهم الدهماء من الناس؛ الذين استكأنوا لأوهام الماضي وفساد الحاضر.. (مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آيَاتِنَا أَلَّا وَلَيَّنَ) (المؤمنون: من الآية 24) (فاستخفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ) (الزخرف: 54).

هكذا كانت دعوة الأنبياء جمیعاً دعوةً لتحرير الإنسان من كل قيوده؛ لإعادة بناء الحياة الإنسانية على أسس من الحق والعدل والمساواة، ومن إعلاء قيمة الإنسان وحفظ كرامته، ورد حقوقه المسلوبة منه.. (فَمَنْ يَكْفُرُ بِالظَّاغُوتِ وَيُؤْمِنُ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرُوفِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) (البقرة: 256).

وكانت دعوة الأنبياء حیاةً جديدةً للأرواح والأبدان.. للإنسان والمجتمع، للرجل والمرأة، للطفل والشاب والشيخ (اسْتَجِبُوا لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا

يُحِبُّكُمْ (الأفال: من الآية 24).

\*\*\*\*\*

لكن هذه الحرية الكاملة تعني في الوقت ذاته مسؤولية مكافحة، فالإنسان الحر مسؤول عن تصرفاته وحركاته وسلوكه، والمجتمع الحر عليه واجبات يقوم بها ويسأل عنها.

ولقد منَ الله على أمتنا في (مصر الحبيبة) بالحرية بعد طول ذل واستعباد وظلم وقهر وتكبر واستعلاء واستبداد واقصاء، بعد ثورة الشباب المباركة، فأزاح الله عنا ظالماً مستبداً ونظماماً فاسداً، سرق أموال الشعب، وبدد ثرواته، وأهدر مقدراته، وكبل العقول والجسوم، وهادن الأعداء وحالفهم، وتجسس على كل أبناء الشعب واستعبدتهم، وطارد الأحرار وسجنهم وعددهم، وقتل الكثير منهم، وقد دفع الأحرار ثمناً باهظاً من دمائهم وحرياتهم وأموالهم ومصالحهم، وهذه ضريبة الحرية، نفهمها من ديننا و تعاليم ربنا.. (ألم حسبتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتُكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلُوا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَهِمُ الْأَيْمَانُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلُّوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَّ نَصْرَ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾ (البقرة) حتى إذا استيأس الرُّسُلُ وَطَنُوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرٌ نَصْرَنَا فَجَيَّ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرِدُّ بِأَيْدِيهِنَّ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾ (يوسف).

لكن تبعات النصر جسمية، وتکاليف الحرية غالبة، والبناء أصعب من الهدم.

ومن هنا وجب على كل الأحرار أن يشحدوا هممهم، ويستجمعوا قواهم، ويوحدوا صفوهم لإصلاح كل ما فسد، وتقويم كل ما أوجَّ، وهداية كل من ضلَّ، ومقاومة كل متربص وكائد ممن يكرهون لأمتنا الخير ويتربصون بها الدوائر.

وأول وأصعب خطوات البناء:

1- الصفح عند المقدرة.. (وَلَيَصْفُحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ) (النور: من الآية 22)، إلا من ظلم أو سفك الدماء، أو سرق ولا يزال يحتفظ بما نهب من حقوق البلاد والعباد.

2- كذلك الصبر على عداوة الجاهلين.. (فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾) (الزخرف)، (سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْغِي الْجَاهِلِينَ ﴿٥٥﴾) (القصص)، (وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةً فَاصْفَحْ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾) (الحجر)، بما بالك بإخواننا في الوطن أو الدين!

3- كذلك من أصعب المهام وأوجب الواجبات تعريف الناس بدعوتنا وجلال رسالتنا؛ أي تعاليم ديننا الصحيحة السمحاء، وأهم من الشرح تقديم القدوة؛ لأنَّ حال في ألف رجل خير من كلام ألف رجل لرجلاً؛ لتصحيح ما روَّجه الإعلام الفاسد والنظام البائد عن دعوة الحرية والعدالة والهداية والإصلاح في سنوات طوال عجاف.. (قُلْ هَذِهِ سَيِّلِي أَدْعُوكُمْ إِلَى اللَّهِ عَلَيَّ بَصِيرَةٌ) (يوسف: من الآية 108) (إِنْ أَرِيدُ إِلَّا اِلْأَصْلَاحَ مَا أُسْتَطَعْتُ) (هود: من الآية 88).



إن رسول الله صلى الله عليه وسلم رغم أنه المعصوم والمرسل من ربهـ كان يرجو من قومه المتسليطين إتاحة الفرصة لعرض الأفكار والمناهج في حرية وتسامحـ .. يا ويح قريش، قد أكلتهم الحرب، ماذا عليهم لو خلوا بيبي وبين الناس؟!!.. لقد أمره الله تعالى أن يجادل بالحسنى، وأن يقابل السيئة بالإحسان (ادْفُعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي يَبْيَنُكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةً كَانَهُ وَلِيٌ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا دُوَّ حَظٌ عَظِيمٌ ﴿٣٥﴾) (فصلت).

وقد أطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم حرية التفكير وحرية النقد، وتقديم النصيحة حتى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

إننا نمد أيدينا إلى كل المخلصين في هذا البلد الأمين، بل في كل بقاع الدنيا؛ كي نتعاون على الخير، ونتواصى بالبر، ونعمل لخير البشرية جماءـ .. (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفَاقُكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَيْمٌ خَبِيرٌ) (الحجرات: ١٣).

وكل القيم والأخلاقيات أجمعـت عليها الرسالات السماوية.. إنما بعـثت لأنتم مـكارم الأخلاقـ .

ونـسـأـلـ اللهـ تـعـالـيـ أنـ يـمـنـ عـلـىـ كـلـ شـعـوبـ الـأـرـضـ بـالـحـرـيـةـ وـالـعـدـالـةـ وـالـمـساـوـاـةـ، وـأـنـ يـحـطـمـ كـلـ الـقـيـودـ وـالـطـوـاغـيـتـ الـتـيـ تـخـولـ دونـ حـيـاةـ الإـنـسـانـ حـيـاةـ كـرـيـمةـ عـزـيـزةـ.. (وَلَقَدْ كَرَمْنَا بَنِي آدَمَ) (الإسراء: من الآية 70)؛ فـلنـحرـصـ جـمـيـعاـ عـلـىـ كـرـامـةـ الإـنـسـانـ الـذـيـ كـرـمـهـ اللهـ.

وـالـلـهـ أـكـبـرـ وـلـلـهـ الـحـمـدـ.